بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أتحدث اليوم[1] عما يرتبط بحياة الإمام الرضا (ع) باعتبار أن اليوم هو الحادي عشر من شهر ذي القعدة وهو يوم ميلاده (ع)، وأرجو أن يكون هذا الحديث نافعا، وأرجو من الله عز وجل أن يوفقني لأستطيع أن أبلغكم هذا الأمر المهم إن شاء الله

أقرأ هذه الرواية (عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعا قال: لما انقضى أمر المخلوع واستوى الأمر للمأمون كتب إلى الرضا (ع) يستقدمه إلى خراسان، فاعتلّ عليه أبو الحسن (ع) بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له وأنه لا يكف عنه، فخرج (ع) ولأبي جعفر (ع) سبع سنين، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس، حتى وافى مرو، فعرض عليه المأمون أن يتقلد الأمر والخلافة، فأبى أبو الحسن عليه السلام، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها، قال المأمون له: سل ما شئت، فكتب الرضا عليه السلام: إني داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى، ولا أفتي ولا أقضي، ولا أولي ولا أعزل، ولا أغيّر شيئا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله، فأجابه المأمون إلى ذلك كله، قال: فحدثني ياسر قال: فلما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا (ع) يسأله أن يركب، ويحضر العيد، ويصلي ويخطب، فبعث إليه الرضا (ع): قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر، فبعث إليه المأمون: إنما أريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك، فلم يزل (ع) يرادّه الكلام في ذلك فألح عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي، وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال المأمون: اخرج كيف شئت، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن

قال: فحدثني ياسر الخادم: أنه قعد الناس لأبي الحسن (ع) في الطرقات والسطوح، الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد والجند على باب أبي الحسن (ع)، فلما طلعت الشمس قام (ع) فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه، وتشمّر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا

---

(١) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث يوم الجمعة بتاريخ ١١ ذي القعدة ١٤٢٢، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث المسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكازا، ثم خرج ونحن بين يديه وهو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمّرة، فلما مشى ومشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخُيِّل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تهيؤوا ولبسوا السلاح، وتزينوا بأحسن الزينة، فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة وطلع الرضا (ع)، وقف على الباب وقفة، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا، نرفع بها أصواتنا

قال ياسر: فتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج والصياح لما نظروا إلى أبي الحسن (ع)، وسقط القوّاد عن دوابهم، ورموا بخِفافهم لما رأوا أبا الحسن (ع) حافيا، وكان يمشي ويقف في كل عشر خطوات، ويكبر ثلاث مرات، فتخيل إلينا أن السماء والأرض والجبال تجاوبه، وصارت مرو ضجة واحدة من البكاء وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين، إن بلغ الرضا (ع) المصلى على هذا السبيل، افتتن به الناس، والرأي أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن (ع) بخفّه فلبسه وركب ورجع)[٢]

أريد أن أستفيد من هذه الرواية لأذكرك بشيء ينفعك إن شاء الله، ولكن بشرطين وأتوقع أن الشرطين كلاهما موجودان في كل واحد منكم أو في أكثركم على أقل التقادير

الشرط الأول: أنك تعيش نفسك بإمكانياتها وتطلعاتها، ومن إمكانيات النفس وخصائصها أن الشخص يجد نفسه مسؤولا عن العالم، والله تعالى خلقه كذلك والدليل على هذه المسؤولية أنك في الواقع تحكم على الأشياء، يعني هناك أشياء تعجبك في قرارة نفسك ولا تطّوفها تحكم عليها وكأنك تقول أحسنت، وهناك أشياء لا تعجبك في قرارة نفسك فإذا وجدت شخصا تستطيع أن تتكلم معه وتظهر له ذلك أو على أقل التقادير أشياء ترفضها في قرارة نفسك، هذا الرفض النفسي يعني أنك أنت لا تريد لهذه الأشياء أن تحدث، وكذلك أشياء أخرى تريدها أن تحصل، يعني أنت تجد نفسك مساهما في العالم كمسؤول كأنك تريد أن تقول للعالم كن هكذا ولا تكن هكذا، مثلا حينما تشاهد مقطع فيديو في مكان بعيد –أصلا لا دخل لك فيه– أن هنالك ظلما تجد هنالك أطفالا يموتون من الجوع يعانون من المرض، أنت تتأذى إذا راجعت نفسك تجد أن نفسك تقول لا يا عالم هذا غلط، هذا يعني أنك أنت كمسؤول تتصرف، في قرارة نفسك

---

(٢) الكافي (٤٨٨/١)

يوجد إحساس عميق بأنك أنت مسؤول، هذه المسؤولية هي التي يعبّر عنها القرآن الكريم بالشهادة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[٣]، راجع نفسك تجد هذا، ولكن إذا الشخص ملغي هذه الحالة وفقط يعيش نفسه وشهواته ففي هذه الصورة هذا الكلام لا ينفعه

الشرط الثاني: أن هذه المسؤولية هي بالواقع تكون ضمن طريق وسبيل، فأنت لك إمام معه تتصرف وتفكر وتحب وترغب، أنا لا أقصد أن تتصرف بالخارج بل أن تتصرف في قرارة نفسك فتحب وترغب وتكره، تبغض أشخاصا وأشياء في هذا العالم، وهذا بالواقع تتصرّفه بـ(إمام) وليس لوحدك بل في مسار وطريق تفكر وتحب وتريد، في قرارة نفسك تقول للعالم هكذا كن لأني هكذا أحب في طريق فيه إمام، فأنت إمامي، أنت لست بمفردك، وفق مقاييس الأئمة (ع) أنت تحب وتبغض يعني أنت توحي للعالم –ولو في قرارة نفسك– يا عالم كن كما أنا أريد وأنا لست بمفردي أنا لي إمام أفكر بإمام أحب بإمام أرغب بإمام أرفض بإمام أكره بإمام، أرجو أنك لو لم تكن إلى الآن منتبها فمن الآن تنتبه أن هذين الشرطين ضروريان وهما موجودان فيك ولكن لابد أن ترجع إليهما لتعرفهما وهما ينجيانك في هذه الدنيا وفي الآخرة إن شاء الله

بناء على هذا الكلام، الآن في هذا العالم يوجد وضع نحن نعيشه، كثيرون يتصورون أن هذا الوضع الموجود هو وضع ومسار ثابت لا يتغير، يعني يبنون على أساس من هذا الوضع، لا يفكرون بأنه غير صحيح، حتى إذا فكروا أنه غير صحيح لا يستطيعون أن يفكروا في البديل، أنت إن شاء الله لست كذلك على أقل التقادير من الآن فصاعدا لا تكن كذلك ولا تبقَ كذلك، فأنت إمامي لك أئمة جاهدوا جدا، قرنين ونصف من الزمان لم يتحمل أحد كما تحمل أئمتنا (ع) في سبيل الإمامة[٤]

أنت قطعا تُفكّر في ما يحصل في العالم، حينما لا يأخذك النوم تفكر في العالم، هنالك كثير من الأشياء أنت تريد أن تغيرها هذا معناه أنك أنت تتصرف في داخل نفسك، الشخص لا يكون إماميا إلا أن يكون مسؤولا والمسؤولية موجودة مع الإنسان تُفكّر في الإصلاح تُفكّر في التبديل والتغيير، لكن حينما تراجع نفسك تجد أنك تُفكّر في إصلاح العالم وفق مؤشرات العالم الموجودة الآن بأسسه وأصوله وثوابته ومساره، أنت لا تستطيع، أنا أرجو أن هذا يتغير وهذا الكلام هو لذلك، مثلا حينما تفكر في رفع الظلم وإعانة المظلوم تفكر في إعانة المظلوم وفق مقاييس العالم الآن يعني أن توفر له ما يستحسنه هذا العالم من حياة

---

[٣] (البقرة: ١٤٣)

[٤] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت ٤ – الإمامة** في فصل (**التقية**) وما بعده

مرفهة ومريحة! حينما تفكر تفكر في نفس هذا المسار، لمَ تفكر في هذا المسار؟ –أنت إن شاء الله لست كذلك– لمَ يفكر الناس بهذا الشكل؟ لأنهم يبنون على أساس أن هذا الواقع الموجود هو الصحيح حتى إذا لم يكن صحيحا هذا لا يتغير، فالشخص لا يستطيع أن يفكر في أن يكون هنالك عالم بديل لا يحصل فيه الظلم ولا يكون فيه مظلوم، لكن لا بالطريقة الموجودة في العالم الآن ووفق تطلعاته بأن تتوفر للمظلوم –على سبيل المثال– جميع الوسائل التي يراها العالم ضرورية لراحة الإنسان

هكذا يفكر الناس وعلى هذا الأساس يوجد استسلام، أشد أنواع الاستسلام خطورة وسوء هو الاستسلام النفسي، حينما تفكر أنت بحاجة إلى أن تجد طريقا تفكر فيه ولذلك أنت بحاجة إلى إمام تفكر معه وتتبعه حتى في تفكيرك[٥]، في العالم الآن توجد إمامة ترفض الدعوة إلى الآخرة ترفض عبودية الله، بشكل صريح تقول أنت بإمكانك أن تكون متدينا تعبد ربك كما تشاء لكن بشرط أن يكون الوضع العبادي الديني الذي لك بحيث أن لا تسحبه إلى واقع الحياة، فيجب عليك أن تتعايش مع أي إنسان مهما كان دينه حتى إذا كفر بالله العظيم، هذه هي دعوة إمامة العالم الآن

نحن مخلوقون لا نستطيع أن نفكر إلا في طريق في مسار في صراط في نجد وفق إمامة وتبعا لها، فإن لم نتبع إمامة الهدى التي شرعها ونصبها الله عز وجل فسننجرف إلى أن نفكر وفق مقاييس الإمامة القائمة، الآن هذه الإمامة توحي إليّ أن هذا الواقع لا يتغير، واقع الأثرياء والمترفين هؤلاء يُتأسى بهم والأنظار تتمحور حولهم، فينطلق من هذا الواقع فيعتبره حقا لا يتغير ولا يتبدل، فرعون كان يقول (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي)[٦] فلا أحد كان يستطيع أن ينكر ذلك فهذا حق ثابت لا يتغير، فكذلك العالم الآن يوحي إلينا أننا حتى حينما نريد أن نفكر في قرارة نفوسنا في الإصلاح ونرغب فيه فنرغب وفق مقاييسه ونفكر وفق مقاييسه، راجع نفسك تجد أنك أنت تنسحب في هذا المسار

في عهد المأمون كان الوضع يشبه العالم الآن، جهود هائلة بذلت –من دون أن يقصد كثيرون– أن تصبح حياة المسلمين حياة بمقياس العالم، بأن يكون الإنسان مرتاحا في هذه الدنيا، يملك وسائل الراحة، أنت مؤمن إمامي بكيت على الحسين (ع)، كبّرت الله عز وجل وصليت لكن حينما تراجع نفسك فأنت تسعى أن تكون مثل من؟ تقيس الأشياء بمقاييس من؟ المترفين!

---

[٥] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في مقال بعنوان (**التفكير بطاعة وولاية**)، وهو متوفر في الموقع (**مذكرات**)

[٦] (الزخرف: ٥١)

أنتم سامعين هذا كثيرا أن الغرب كان متأخرا والعالم الإسلامي كان متقدما من جهات شتى، ثقافيا وفكريا، مثلا فلسفة ابن رشد الأندلسي التي حررت أو ثقّفت العالم الغربي، بعض الخلفاء العباسيين بنوا قصورا يستقبلون فيها أناسا ممثلين عن إمبراطور الروم فينبهرون بها، والطب كان متطورا جدا في تلك المرحلة، السعي الحثيث لجعل حياة المسلمين حياة مريحة لا وفق مقياس سنة رسول الله (ص) بل وفق مقاييس أخرى، وعلى هذا الأساس الغربيون كانوا يتأسون بالخلفاء الأمويين في الأندلس، والآن حينما أنت تجد هذه الفخامة لهذه القصور –قصر الحمراء وغيره– تتحسر أن هؤلاء الغربيون كانوا يجدون مثالهم في هذه الحياة التي هم جسدوها لأنها في نفس التطلعات ونفس الطريقة

في عهد المأمون كذلك كان الوضع، بإصرار أُحضر بالإمام الرضا (ع) ليذوَّب في هذا الوضع[٧]، وأراده أن يتحول إلى عنصر من العناصر التي لابد إذا عاشت ذلك الوضع تسنده شاءت أم أبت، فيُراد بعد ذلك أن الإمام (ع) حينما يستنكر يستنكر ولكن وفق نفس هذا الوضع، يريده أن يرى أن هذا القصر فقط بحاجة إلى تعديل أو كما أننا حينما نريد أن نصلح الوضع يجب أن نبني قصورا مثله فنعطيه لمن يفتقده، والطعام الذي كان يأكله المأمون، الإمام الرضا (ع) يجلس على هذه السفرة فيريده المأمون أن يعجب به أو إذا ما أعجب به فليكن ولكن يبقى كشخص تفكيره يكون كتفكير الآخرين، لاحظوا في ذلك الحين حتى المتدينين والمصلحين، اقرأ الكتب هنالك أناس كانوا يرفضون وضع المأمون، ولكن كيف كانوا يفكرون في تعديل الوضع؟ إما يتخبطون –لأنه لا إمامة لديهم– أو يفكرون وفق نفس المقاييس المأمونية

ولكن هؤلاء القادة وهؤلاء الناس الذين خرجوا لرؤية الإمام الرضا (ع) الذين جربوا العيد وزينة العيد وكانوا يتطلعون إليه كعيد يجسّد نفس التطلعات الموجودة، مسلمين يعيّدون وفق مقاييس العالم الموجودة، فكانوا يتصورون أن هذا الوضع لا يتغير لا يمكن أن يكون هنالك والٍ لا يتزين، حتى إذا لا يتزيّن في وقت معين فلا يمكن أن يختلف عن المأمون وعن التاريخ الطويل قبله، وإذا هو (ع) يخرج بتلك الطريقة فماذا حصل؟ هؤلاء القادة والعساكر الذين كانوا يجسدون إمامة ذلك الوضع –والذي كان المأمون يرمز إليه ويجسد إمامته– كانوا يفكرون بل يقاتلون لتثبيت ذلك الوضع وللدفاع عنه، وإذا بهؤلاء بمجرد هذا الخروج من الإمام (ع) يتغير وضعهم، ماذا حصل؟ تبيّن بأن هذا الواقع ليس إلا (كشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ

---

(٧) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت ٤ – الإمامة** في فصل (**المرحلة الثالثة**)

الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)[٨] وإذا بهم تحرروا، أولئك القادة والعساكر الذين كما تنقل الروايات أنه كان أحسنهم حالا من كان معه سكين حتى يستطيع أن يمزّق هذا الحذاء الخاص الذي كان يلبسه ليمشى حافيا[٩]، هؤلاء القائدة تغيّروا وتحرروا، قبل ذلك لو كانوا يُسألون: هل من الممكن أن الإنسان يفكر في عالم آخر غير عالم المأمون الذي يجب أن يكون كل شيء فيه يجسد طريقة معينة بما منها العيد؟ هل كنت تفكر بأن هؤلاء القائدة كان أساسا يتصور هذا الوضع؟

بينما بحركة إمامية ناتجة عن علم ودين قلَبَ الإمام (ع) ذلك التاريخ الطويل وتلك الجهود الجبارة التي بُذلت –لمدة حوالي مئة وتسعين سنة– لترسيخ أن الواقع المُشتهى هو الحق وأن ما يشتهيه الإنسان هو الصحيح، ذلك التاريخ الطويل الذي فصل عهد النبي (ص) عن هؤلاء الناس الذين كانوا يشهدون بنبوة النبي (ص) من دون أن يعوا ماذا كانت تعني نبوته (ص) وكثيرا ما كانوا يتكلمون عن سنته (ص) من دون أن يعرفوا ما هي سنته وكيف أن هذه السنة تُحرر الإنسان من كل شيء فتقيمه على قدميه، وأن هنالك عالما آخر بإمكان الإنسان أن يعيش فيه ويكون كريما عزيزا من دون أن يملك الوسائل التي تظهره بشكل معين، كذلك كان أصحاب رسول الله (ص) حفاة جوّع لكنهم كانوا يسعون لتحرير الناس، هل بإمكانك الآن أن تتصور أن شخصا لا يملك أية إمكانيات لكن مع ذلك يأتي الأمور من بابها وإذا هو يجعل العالم عالما آخر مختلفا تماما، كذلك الإمام القائم (ع)

أرجو أن يجعل الله هذا الحديث نافعا يثير في نفسك أمورا تبني عليها، وإذا أنت تنظر إلى الأمور بنظرة مختلفة وبمقياس آخر، وإذا أنت إنسان آخر لك إمامة أخرى مختلفة عن إمامة العالم، وإذا لك تطلعات مختلفة تماما عن تطلعات العالم، وإذا أنت تنتظر الفرج وفق انتظار الفرج الذي كان يعيشه أمير المؤمنين (ع) فكان يذكر القائم (ع) ويحن إليه، وإذا أنت بذلك تجد أنك أنت أصبحت إماميا، هذا هو هدفي

وفقكم الله تعالى لمراضيه وربطنا بأئمتنا وعرفنا بهم في الدنيا وجعلنا معهم عارفين بهم وناصرين لهم ورافعين رايتهم في هذه الدنيا، وفي الآخرة يحشرنا معهم حيث رضوان الله وأحباء الله، وفقكم الله تعالى لمراضيه أعتذر لكم، والحمد لله رب العالمين

---

[٨] (إبراهيم: ٢٦)

[٩] الإرشاد (٢/٢٦٦)